



تسبيت الحرب القاسية وأضرارها اليومية في تغيير نمط الحياة اليومية للمواطنين في مدينة حلب، وظهور عادات وأنماط سلوك غير التي اعتادوها سابقاً. لكن الحلبين استطاعوا التأقلم مع هذا الواقع الجديد، وكان الحرب لم تمر من مدينتهم أبداً.

فطور غني بالسكريات لمقاومة البرد:

الفطور التقليدي للحلبيين المكون من المكдوس والجبن والزعتر الحلبي والفول وغيرها من الأصناف التي تشتهر بها المدينة، لم يعد موجوداً على الموائد حالياً بسبب ارتفاع أسعار المواد الغذائية وندرتها في بعض الأحيان، ووجد الحلبيون في الشعيبيات فطوراً لزيناً وغنياً بالسكريات التي ترفع من حرارة الجسم وتعطي إحساساً بالشبع لساعات طويلة من النهار، وعندما نسير في شوارع حلب سنلاحظ بسهولة الكثيرين ممن يتناولون الشعيبيات وهو في طريق العمل.

يخبرنا معتصم صاحب محل للحلويات عن تزايد الطلب على الشعيبيات من قبل الحلبيين مقارنة بالسابق، حيث كان الطلب عليها محصوراً بأيام العطل والمناسبات الدينية فقط، أما حالياً فالطلب يتزايد عليها بشكل يومي، لاسيما من قبل العمال الذين يذهبون لعملهم باكراً ويحتاجون لوجبة بسعر مقبول وتمدهم بالطاقة طوال اليوم.

ومع انعدام المونة المنزلية وجنون أسعار المواد الغذائية يجد معتز عامل الصحية في هذه الوجبة ضالته، ويقول: "أصبح اقتناة الجبن والمكدوش والزيتون رفاهية ينعم بها المقتدون فقط، لذلك أجد في قطعة من الشعيبيات فطوراً لزيناً ويمدني بالحرارة في هذا الطقس البارد، كما أن سعرها بتناول الناس البسطاء".

السيارات على الرصيف والمارة وسط الشارع:

أصبح ركوب سيارة خاصة ترفاً في مدينة حلب لا يقدر حتى المرتاحون مادياً الاستمتاع به وسط تفاقم الأزمات المعيشية، فأثر أصحابها ركnya على الأرصفة والانضمام للناس البسطاء وتقاسم ركوب السرافيس معهم، فأصبح عدد المارين في الشارع أكثر من عدد التاكسي التي يجد أصحابها صعوبة في القيادة وسط هذا الازدحام الشديد.

ورغم تذمر المواطنين من احتلال السيارات للأرصفة المخصصة لهم، إلا أن هناك أسباباً فعلية دعت مالكي السيارات إلى

هجر سياراتهم والانضمام إلى ركب المشاة، أو التوجه إلى وسائل النقل العامة، منها غلاء البنزين والازدحام على محطات الوقود للحصول عليه، وقلة الطرق المستخدمة في المدينة نتيجة إغلاق معظمها لأسباب أمنية، إضافة إلى الحاجز التي قطعت أوصال المدينة.

يقول خالد (23 سنة): "في السابق كنت أذهب إلى عملِي بسياري، أما الآن فالوقت المستغرق في الحالتين هو ذاته، فضلاً عن أنني أرحت نفسي من عناء الوقوف لمدة طويلة أمام محطات البنزين".

معركة ركوب السرفيس:

يقف الحلبيون وقتاً طويلاً بانتظار السرفيس، وما إن يلمحوه قادماً يركضون مسرعين باتجاهه، وتبدأ رحلة التدافع الهستيري الذي يشارك بها الجميع رجالاً ونساءً، ولا تنتهي إلا بامتلاء السرفيس وانطلاقه، وأما الذي لم يحالفه الحظ، فعليه الانتظار حتى وصول الحافلة التالية ليبدأ سباقاً جديداً مع المنتظرین أمثاله.

ورغم قيام الكثير من مالكي السيارات الخاصة بتحويلها لوسيلة نقل عامة للتخفيف من أزمة المواصلات، إلا أنها لا تستوعب الأعداد الكبيرة من الركاب، وخاصة عند ذهاب الناس لعملهم وعند رجوعهم منه ستجد أمواجاً بشريّة قد ملأت الشوارع، وسيخيل إليك استحالة وصول هذا العدد الهائل من الناس إلى أماكنهم المنشودة، لكنك ستستغرب أين ذهب كل هؤلاء حين تسير في الشارع مساءً ولا تجد إلا القليل منهم!!

تقول وفاء (24 سنة): "أجد صعوبة يومياً في الذهاب إلى عملِي وغالباً ما أصل متأخرة، وأنا كفتاة لا يناسبني الانضمام إلى سباق ركوب السرفيس كما أصبحنا نسميه، كيف لي أن أحشر نفسي بين عشرات الرجال والشبان؟؛ لذلك أفضل الانتظار على المشاركة في هذا التدافع المقيت لركوب السرفيس".

البيت هو ملاذ الحلبين:

اشتهر الحلبي سابقاً بحبه للسيران والمشاوي، إلا أن الظروف الحالية حولته إلى إنسان (بيتوتي) يذهب لعمله صباحاً ويعود لمنزله مساءً، ففكرة الخروج من البيت إلا للعمل أو شراء احتياجات المنزل أصبحت عناً لا يقدر الجميع على تحمله.

هذا العناء يبدأ من الانتظار الطويل لوسائل النقل مروراً بالتأخر عن الموعد، أو المكان المقصود بسبب الازدحام، وبلغ من المال لتناول أو شرب شيء ما في أحد المطاعم، الأمر الذي يدفع المواطن لتوفير هذا المبلغ لتأمين متطلبات عائلته الأساسية.

وإضافة إلى ما سبق فإن تساقط الهاون والقاذف في أي لحظة سيجعل المواطن يصرف النظر عن ممارسة رياضة المشي، وسيكون الحل الأفضل الجلوس في البيت وشرب فنجان من الشاي أمام شاشة التلفاز الذي يعمل بكمبيوتر الآمبير طبعاً؛ لأن الكهرباء الحكومية انقرضت لأجل غير مسمى.

أما أهم ظاهرة وأهم شيء اكتسبه الحلبيون خلال هذه الأزمة هو الصبر، وهو الشيء الوحيد الذي يجعلهم يستمرون في الحياة داخل مدينة تم تصنيفها على أنها الأخطر عالمياً، فهم صابرون على القتل والتممير، صابرون على الغلاء والازدحام والبطالة، صابرون على فقدان أحبتهم بين نازح وشهيد، هم مصرّون على الحياة بابتسمة تقاوم القهر والألم.

المصادر: